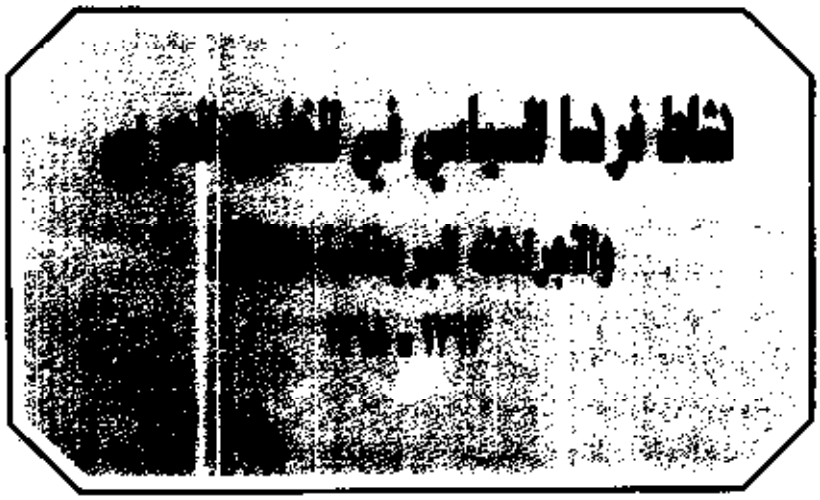

الدكتور محمد عبد الله العزاوي
كلية الاداب ـ جامعة البصرة

خسرت فرنسا في حروبها مع انكلترا معظم مستعمراتها في امريكا والهند. وكانت بسبب تلك الهزائم مهيأة لانتهاز الفرصة المناسبة من اجل منافسة انكلترا المكانة التي بلغتها من توسيع دائرة تجارتها وبسط نفوذ سيطرتها بعيدا عن الجزر البريطانية القريبة من الساحل الفرنسي. وقد اخذت فرنسا تعد العدة وتحبك الخطط لزحزحة بريطانيا والحلول محلها. فكانت اول ما خططت له وفكرت فيه هو ايجاد مراكز اتصال لها في الشرق لكي تكون بمثابة مراكز استطلاع على الممتلكات البريطانية في الهند ودراسة الطرق التي يمكن استخدامها في حالة غزوها. لذلك بادرت حكومة الثورة الفرنسية الى اتخاذ خطوتين هما: ارسال بعثة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس، وتعيين قنصل فرنسي في مسقط.

١ ـ ارسال بعثة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس

في نهاية تشرين الاول ١٧٩٢ قرر المجلس التنفيذي المؤقت (Conseil executif provisoire) ارسال بعثة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس. وقد اختير العالمين الطبيعيين بروكَيير واوليفيه (Bruguiere et Olivier) من اجل تنفيذ هذه المهمة حيث زودوا بالتعليمات المختلفة وطلب منهما السفر بالسرعة الممكنة [1]. وبالرغم من ان الهدف الظاهر لهذه المهمة هو القيام بالبحوث الطبيعية فقد كان المقصود منها تغطية الاهداف السياسية والاقتصادية الحقيقية للبعثة وذلك باعطائها صورة مهمة علمية [2].

غادر بروكَيير واوليفيه باريس في ٧ تشرين الثاني ١٧٩٢ الى مرسيليا من اجل ايجاد سفينة مناسبة تنقلهم الى اسطنبول التي لم يستطيعا وصولها الا في نهاية مايس ١٧٩٣ [3]. وقد وجد المبعوثان الفرنسيان نفسيهما وحيدين في اسطنبول، لاسيما بعد معرفتهما بان المواطن دي سيمونفيي (De Semonville) المبعوث الفرنسي فوق العادة لدي الباب العالي، قد غادرها لاستدعائه من قبل الحكومة حيث حل محله المواطن ديكورش (Descorches) الذي كان يجهل تماما مهمتهما ولم يحمل معه اية تعليمات بخصوصها عند مغادرته باريس [4]. والسبب يعود على ما يبدو الى ان فرنسا كانت منشغلة في حروبها الخارجية ضد النمسا وبروسيا، اضافة الى اوضاعها الداخلية المتشابكة [5]. وكان على بروكيير واوليفيه بانتظار التعليمات الجديدة بخصوص مهمتهما التي بقيا في انتظارها لمدة تسعة أشهر. ولكن مع ذلك فان المبعوثين الفرنسيين لم يأسفا على اقامتهما الطويلة في اسطنبول فقد استغلا

---

(1) G. A. Olivier, voyage dans l'Empire Ottoman, l'Egypte et la perse, Paris, 1801 - 1807, Tome 1, pp. 1 - 2

(2) A. A. E. Corr. Pol Perse, vol. 8, PP. 50 - 51 Lettre de patrin, depute à la Convention national., au ministre des affaires etrangeres, 28 Vendemiaire l' An 11 de la Republique)19 octobre 1793).

صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٦٣.

(3) G. A. Olivier, op. Cit., p. 212.

(4) A. A. E. Corr. Pol. Perse, Vol. 8, PP. 50 - 51, patrin au minstre des relations exterieures, 19 octobre 1793.

(5) G. A. Olivier, op. cit., p.89.

هذا الوقت في دراسة السواحل البعيدة لآسيا الصغرى وبعض جزر الارخبيل من النواحي التجارية والسياسية والعسكرية[6].

كانت مصر المجال المهم الثاني في نظر فرنسا، لذلك فقد كلف المبعوثان بالتوجه الى الاسكندرية لاجل تنفيذ الجانب الثاني من مهمتهما. وفي ٣ كانون الاول وصل المبعوثان الى الاسكندرية قادمين من اسطنبول [7]. وتعتبر مشاهداتهما واقتراحاتهما المتعلقة بمصر مهمة جدا. فقد كتب المبعوثان يوجهان انظار حكومتهما الى اهمية مصر وضرورة غزوها والسيطرة عليها [8] ويقولان: «ان الموقع الجغرافي الممتاز لمصر جعلها تلعب دوراً كبيراً بين الامم المتحضرة، فموقعها بين البحر المتوسط والبحر الاحمر، وفي اقاصي آسيا وافريقيا وقربها من اوربا والهند الشرقية، جعلها نقطة اتصال لشعوب الارض جميعاً بحيث تعتبر مخزناً رئيسياً لتجارة الامم، اذ تصل الى موانئها واسواقها جميع سفن الدول البحرية الحاملة لجميع السلع الغذائية والعقاقير والمنتجات الصناعية» [9] وأشاروا الى حكومتهم بان المماليك يعاملون التجار الفرنسيين معاملة سيئة ويضعون العراقيل الكبيرة امام التجارة الفرنسية التي يمكنها ان تتوسع كثيرا وذلك باتخاذ مصر مركزاً لتصريف المنتجات والسلع الفرنسية [10]. كما اكدوا ايضا ان الجيش الفرنسي سوف لن يواجه اية صعوبات بالسيطرة عليها، وذلك بسبب الظروف السياسية الملائمة فيها وبالتالي سيكون من السهل على فرنسا الحفاظ عليها واتخاذها مفتاح الطريق للسيطرة على الهند. ومضى المبعوثان الفرنسيان الى القول بان الطريق القصيرة جدا الى الهند هي طريق البحر الاحمر، حيث الاخطار الملاحية القليلة والرياح الموسمية الدائمة والمنتظمة، كما اشارا الى امكانية ربط النيل بالبحر الاحمر بقناة السويس. وبالتالي امكانية نقل البضائع من اوربا الى الهند وبالعكس بواسطة هذه الطريق، التي ستكون طريقا قصيرة واقتصادية مقارنة بطريق راس الرجاء الصالح [11]. كما بينوا

---

(6) E. olivier, 1756 - 1814, G. A. Olivier, membre, membre de l'institut de France Sa vie, ses travaux, ses voyages, Moulins, 1880, PP. 14 - 15

(7) Ibid, p. 12

(8) C. E. La Jonquiere, l' Expedition d' Egypte, 1798 - 1801, Paris, 1899, Tome 1; F. Charles - Roux, Les Origines de l'Expedition d'Egypte, Paris, 1910.

(9) G. A. Olivier, op. Cit., Tome III, PP. 316 - 317.

(10) A. A. E. Corr. Pol. Perse, Vol. 8, pp. 135 - 136. Lettre de Bruguiere et Olivier au ministre des relations exterieures, 2brumaire l'An vI (23 octobre 1797).

(11) G. A. Olivier, op. Cit., pp. 316 - 325.

لحكومتهم بان حملة فرنسية على مصر سوف لن تكلف كثيرا، لاسيما ان مصر ستزودها بما تحتاجه، وحذروا حكومتهم من ان الانكليز يعدون العدة لغزو مصر وان على فرنسا ان لا تنتظر نتائج ذلك [12]. في شهر مايس ١٧٩٥ غادر المبعوثان الاسكندرية عائدين الى اسطنبول بناء على اوامر من فرنيناك (Verninac)، السفير الفرنسي الجديد لدى الباب العالي وذلك لغرض التحضير للمهمة التي كلفوا بها في فارس منذ حوالي ثلاث سنوات[13]. وفي ٣٠ آب ١٧٩٥ غادر المبعوثان اسطنبول الى فارس بعد ان زودهم السفير الفرنسي بالتعليمات الضرورية، وبخطابات الى باشا بغداد والى رئيس وزراء فارس، كما حملا رسالة شفوية من الباب العالي الى حكومة فارس [14] وقد خاطب فرنيناك العالمين عند مغادرتهما اسطنبول بقوله «طريق جديدة ستبدأ امامكما لقد كشفت ايادیكما الحجاب عن تمثال اسيا. ان فارس بدورها تدعوكما الآن، ففي هذا البلد غير المطروق لحد الآن حيث الطبيعة والسياسة تقدم مجالاً واسعاً لملاحظاتكما ومواهبكما. ان الجمهورية الفرنسية تنتظر منكم ذلك النشاط الذي عرفته فيكما، وانني على ثقة بجهودكما»[15].

وجاء في التعليمات الصادرة من الحكومة الفرنسية، ان يعمل المبعوثان على انعاش النفوذ الفرنسي في فارس، وذلك بالسعي للحصول على تأييد الشاه التام وتعاونه مع الحكومة الفرنسية، وتجديد معاهدتي ١٧٠٨ و ١٧١٥ اللتين سبق وان عقدتا بين البلدين ولكن لم تدخلا حيز التنفيذ الفعلي واستغلال العداء القائم بين روسيا القيصرية من جهة وحكومتي فارس وتركيا من جهة ثانية، وبالتالي تكوين حلف ثلاثي مع هاتين الدولتين بزعامة فرنسا، يوجه ضد روسيا وانكلترا في الوقت نفسه[16].

اما الاهداف الاخرى للبعثة فهي تنظيم المؤسسات الفرنسية في الشرق وتحرى الامكانيات التي بواسطتها تتمكن التجارة الفرنسية من منافسة الانكليز في منطقة الخليج العربي [17] والحصول على مساعدة فارس في حالة غزو فرنسا للهند[18]. في

(12) Ibid, pp. 230 - 231.

(13) E. Olivier, op. Cit., pp. 12 - 17

(14) G. A. Olivier, op. Cit., Tome 1Vpp. 2 - 3

(15) A. A. E. Corr. Pol. Turquie, vol -189, pp. 321 - 322, Lettre de Verninac au ministre des affaires etrangeres, 13 Frictidor l'An 1v (30 aout 1795).

(16) A. A.E. Corr. pol. Perse, Vol. 8, pp. 98 - 118, lettre de Bruguiere et Olivier au Verninac 3 vendemiaire l'An v (24 Septembre 1796).

(17) A. A. E. Corr. Pol. Turquie, Vol. 189, pp. 180 - 193, instructions pour le citoyen verninac (sans date).

(18) A. A. E. Corr. Pol. Perse, Vol. 8, lettre de Bruguiere et Olivier au general Auber De Bayet, envoye extraordinaire de la Republique Pres de la Porte ottoman, 9 Nivose l'An v (29 decembre

تشرين الثاني ١٧٩٥ وصل المبعوثان الى سوريا في طريقهما الى فارس حيث قاما بدراسة بعض الموانىء مثل صور وصيدا ثم بقيا في حلب اكثر من ثلاثة اشهر[19]. وكان هذا التأخير بناء على نصائح من القنصل الفرنسي والتجار الفرنسيين في حلب بضرورة اتمام رحلتهما في قافلة منتظمة والا فتك بهما البدو، لاسيما ان القنصل الانكليزي في حلب قد رشى بعض البدو القاطنين في شرق سوريا من اجل القاء القبض على المبعوثين اعتقادا منه بان حكومتهم الجمهورية قد ارسلتهم الى الهند من اجل الحاق الضرر بالتجارة الانكليزية[20]. ويظهر انهما وقد ضرب لهما مثلاً بما وقع للمسيو بوريل دي بور (Borailde Borge) اقتنعا بعدم المجازفة[21].

وفي اوائل نيسان ١٧٩٦ وصل بروكيير واوليفيه الى بغداد قادمين من حلب، بعد رحلة مليئة بالمخاطر والصعوبات وقد بقي المبعوثان في بغداد حوالي ستة اسابيع اتصلا خلالهما بسليمان باشا حاكم بغداد الذي كان راغبا في الاجتماع بالمبعوثين واستشارتهما حول مرضه قبل سفرهما الى فارس. لقد كان سليمان مصاباً بمرض مزمن عجز الطب الشرقي عن علاجه واعتقد الاطباء والمنجمين جميعاً بان لا امل في شفائه[22] وشاءت الظروف ان يشفى سليمان باشا بعد علاجه من قبل المبعوثين الفرنسيين خلال فترة قصيرة[23] وقد ترك هذا الحدث اثرا كبيرا في نفس الباشا الذي اكد للمبعوثين انه سيكون على الدوام في خدمة فرنسا[24]. كما قدم لهما الهدايا وزودهما برسائل توصية الى رئيس وزراء فارس وحاكم كرمنشاه والى كبار ضباط الشاه[25]. وفي بغداد تشاور المبعوثان مع روسو (Rousseau) واوتر (Otter) وكان اولهما قنصلا في بغداد وكان الثاني تاجرا وفي الوقت نفسه طبيبا لحاشية الباشا[26]. كما انظم اليهما كارامان (Caramin) وهو شاب فرنسي ليعمل معهما كاتبا ومترجما[27]، ثم غادرا بغداد في ١٨ مايس ووصلا طهران في الثاني من تموز ١٧٩٦

(19) E. Olivier, op. cit., p. 22

(20) G. A. Olivier, op, cit., pp. 210 - 211

(٢١) للتفصيلات عن حادثة المسيو بوريل دي بور، راجع

H. J. Brydges, A brief History of the wahauby London, 1834, pp. 170 - 177.

(22) G. A. Oliver, op. Cit., pp. 307 - 362

(23) A. A. E. Corr. Comm-Bagdad, Vol. 4, p. 50, Rousseau a Verninac 21 floreal 1'An 1v (10 mai 1796)

(24) A. A. E. Corr. pol. Perse, Vol. 8, pp. 135 - 136, lettre de Bruguiere et Olivier au ministre des relations extericures, 2 Brumaire 1'An 1v (23 octobre 1797).

(25) Ibid, pp. 96 - 97, Lettre de Bruguiere et Olivier a Verninac, 15 Prairial 1'An v1 (4 Juin 1796).

(26) S. Ferriere, Voyage militaire dans l'Empire ottoman, Paris, 1829, Tome 11, pp. 408 - 409.

(27) J. G. Lorimer, Gazetter of the persian Gulf, Oman and central Arabia, Vol. 1, p. 152.

وكان أغا محمد خان حاكم فارس، قد ذهب الى خراسان في حملة عسكرية لمحاربة احد الطامعين بالعرش فقرر المبعوثان البقاء في احدى القرى قرب العاصمة انتظارا لعودته حيث شغلا نفسيهما بدراسة اوضاع فارس[28]. وفي الوقت ذاته عاد اغا محمد خان الى طهران في العشرين من سبتمبر وبعد ثلاثة ايام بدأ المبعوثان الفرنسيان محادثاتهما مع حجي ابراهيم رئيس وزراء فارس، وبعد ان قدما له الرسائل الموجهة اليه من فرنيناك وباشا بغداد اعربا عن املهما باقناعه بفوائد التحالف مع فرنسا والدولة العثمانية، الذي سوف لن يحقق الامن السياسي لفارس فحسب، بل الازدهار التجاري ايضا. واوضحا لرئيس وزراء فارس ان اطماع الروس التي لا حدود لها ودسائسهم في اوربا قد خلقت لهم الكثير من الاعداء وفي مقدمتهم فرنسا، التي هي في حرب معهم منذ اكثر من ثلاث سنوات، كما اشارا اليه بان الحكومة الفرنسية تود ان تلفت نظر شاه فارس بانه في حالة تحقيق هذا التحالف «فان السويد ستهاجم روسيا من الشمال، وستثور بولونيا ضد الاحتلال الروسي عندما يكون الروس مجبرين على سحب قسم من جيوشهم من الاراضي البولونية» وهكذا تستطيع فارس ان تطرد الروس من اراضيها المحتلة[29].

لم تسفر محادثات بروكيير واوليفيه مع الحكومة الفارسية عن نتيجة ايجابية، سوى انهما قد حصلا على وعد بارسال مبعوث فارسي الى اسطنبول من اجل اجراء المفاوضات مع الحكومة العثمانية[30]. ونستنتج من ذلك انه لم تتخذ اية خطوات لتجديد المعاهدتين او عقد معاهدات جديدة بين فارس وفرنسا[31]. كما لم تتخذ اية اجراءات لانشاء او استئناف مؤسسات فرنسية في اصفهان او في شيراز او في بقية مناطق الخليج. كذلك كان الشأن بالنسبة لتسليم جزيرة خرج لفرنسا، وهي الامور التي كانت فيما يبدو ضمن مهمة العالمين في فارس[32].

لقد كان وراء وصول المفاوضات الى الحد الذي وقفت عنده، جملة من الاسباب: الاول هو عدم وصول الهدايا الى البلاط الفارسي في الوقت المناسب[33]. والثاني ان

---

(28) E. Olivier, op. Cit., pp. 23 - 24.

(29) A. A. E. Corr. Pol. Perse, Vol - 8, pp. 98 - 118, Lettre de Bruguiere et Olivier a Verniac, 3Vendemiaire l'An V (24 Septembre 1796).

(30) Ibid.

(31) J. G. Lorimer, op. Cit., p. 153

(32) A. Wilson The Persian Gulf, oxford, 1928

(33) J. G. Lorimer, op. Cit. p. 154

المبعوثين لم يقابلا آغا محمد خان نفسه[34]. والثالث ان بروكيير واوليفيه كانا في وضع سيء في اصفهان فلم يكن عندهما كفاية من المال وقد اخطأ كثيرا عندما تركا ملابسهما الفرنسية وارتدوا الزي الشرقي[35] واخيرا هو الانطباع السيء للمبعوثين عن فارس كدولة. مما حملنا على هذا الاعتقاد هو الخطاب الذي ارسله المبعوثان الى السفير الفرنسي في اسطنبول بتاريخ ٢٩ كانون الاول ١٧٩٦ الذي جاء فيه «لا يمكن الثقة بالحكومة الفارسية الحالية التي تنقصها الامكانات الكافية لمساعدة المخططات الفرنسية الكبرى. ويمكن القول بان حكومة فارس لا تجهل فقط التفاوض سياسيا بل وتجهل كذلك حتى اسماء الدول التي تلعب دورا كبيرا في اوربا في الوقت الحاضر[36].

على الرغم من ان مهمة بروكيير واوليفيه لم تسفر عن نتيجة تذكر من الناحية السياسية في الخليج العربي الا ان المبعوثين انتهزا هذه الفرصة لتقديم اقتراحاتهما بخصوص المسائل التجارية والعسكرية[37]. فقد كتب المبعوثان يوصيان حكومتهما باهمية تجارة الخليج وان معظم المنتجات الشرقية تأتي عن هذه الطريق وطالبا بضرورة ان تستخدم فرنسا سفنها لنقل منتجاتها الصناعية الى بلدان الخليج كما اشارا الى اهمية ميناء البصرة بالنسبة لتجارة الهند وبضرورة نقل قنصلية بغداد الى البصرة لغرض الاشراف على العمليات التجارية وكتبا بهذا الخصوص يقولان: «ان حضور قنصل الجمهورية في بغداد سيكون بالعكس ضروريا في البصرة لان هذه هي التي تصلها السفن الفرنسية باعتبارها مستودعا للرزم المرسلة الى الهند من قبل حكومتنا. يضاف الى ذلك اننا لا يمكننا الاتصال بمسقط الا بواسطة هذه المدينة»[38]. كما اكد اوليفيه بان الاصواف الفرنسية يمكن ان تلقى سوقا رائجة في فارس نظراً لاعتدال ثمنها بالنسبة للاصواف الانكليزية التي تحتكر السوق. ومن الناحية الحربية فقد نصح اوليفيه بعدم اتخاذ اية خطوات لاقامة حامية فرنسية في جزيرة خرج وهي الجزيرة التي كان كريم خان قد

---

(34) G. Hanotaux. Histoire des Colonies francaises et de l.Expausion de la France dans le Monde, Tome III. Paris. 1931. p. 558.

35) Ibid

(36) A. A. E. Corr. Pol. Perse, Vol. 8, pp. 187 - 188, lettre de Bruguiere et Olivier au general Auber De Bayet, 9 Nivose I.NV (29 decembre 1796)

(٣٧) صالح العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ ـ ١٨١٠ ـ بغداد ـ ١٩٧٩ص ٤.

(38) A. A. E. Corr. Pol. Perse. Vol. 8. pp. 135 - 136, Lettre de Bruguere et Olivier au ministre des relations etericures, 2 Brumaire l'An Iv (23 octobre 1797).

منحها للفرنسيين في ١٧٦٩ وقال ان مثل هذه الحامية لا تفيد شيئا لعزلتها وانها تصبح ضرورية فقط اذا نفذ مشروع غزو مصر[39].

اما الخطوة الثانية التي اتخذتها فرنسا بعد ثورتها الكبرى تجاه الخليج فهي تعيين بوشان (Beauchamp) قنصلا لها في مسقط. ان حكومة عمان ظلت دائما تبدي امتنانها من تصرف فرنسا بارسال سفينة صغيرة الى مسقط بدل السفينة «الصالح» التي كانت قد استولت عليها سفن القرصنة الفرنسية بغير حق في عهد الامام احمد[40]. وقد ظلت العلاقات الودية بين فرنسا وعمان على هذا النحو لكنها اضطربت ايضا عندما تجددت اعمال القرصنة بصورة اعظم بعد نشوب الحرب بين فرنسا وبريطانيا في عام ١٧٩٣ التي تعتبر اطول واقسى الحروب التي قامت بين الدولتين وكما حدث من قبل، لم يحترم الفرنسيون حياد مسقط وكانت اعمال القرصنة في المحيط الهندي تكاد تكون شبه رسمية بل ان الفرنسيين تفاخروا بتفوق قراصنتهم على الانكليز والهولنديين والبرتغاليين[41]. وتكشف لنا هذه الرسالة عن الاضرار التي لحقت بمسقط من جراء القرصنة الفرنسية. فقد ابلغ حاكم مسقط القنصل روسو: «انه بالرغم من اعتداءات القراصنة الفرنسيين واستيلائهم على احدى السفن العمانية المسماة «الفتح» وقتل بحارتها وسلب حمولتها التي تقدر بـ ١٢ الف روبية فان سفينتين قادمتين من جزيرة موريس قد هاجمتا في ميناء مسقط نفسه احدى السفن القادمة من البنغال التي كانت تقل حمولة كبيرة لحساب احد الرعايا العمانيين، مع اننا قد زودنا هاتين السفينتين بحاجياتهما من المؤون»[42]. وطلب حاكم مسقط من القنصل روسو ايضا ضرورة ايجاد حل لمشكلة القرصنة وارجاع السفينة العمانية التي استولى عليها القراصنة مادام الامام صديق مخلص للفرنسيين وان يوضح له ما اذا كانت فرنسا تريد الحرب ام السلام مع عمان[43]. لكن مع ذلك وبالرغم من جهود القنصل روسو فان حكومة الجمهورية لم

---

(٣٩) العقاد صلاح المصدر نفسه، ص ٦٤.

(40) A. C. C4, 102, pp. 8 - 12, Lettre de mac - Nemara au ministre de la marine (sans date).

(41) A. A. E. Corr. Cons Mascate, Vol. 1, No, 49, Lettre de Ouirad, capitaine francais, a Rousseau, 25 septembre 1794.

(42) Ibid. No. 50, Traduction, d,une lettre ecrite par le cheik kalfan, gouverneur de Mascafe, a Rousseau (sans date).

(43) Ibid, No. 48, Rousseau a De Corches 30 vendemiaire I,A111 (21 octobre 1974).

تستجب لهذه النداءات ولم توجه انظارها على الاطلاق نحو مسقط. الامر الذي ادى الى تعقيد العلاقات الفرنسية العمانية[44].

ان هزيمة الفرنسيين في الهند واستسلام مراكز نفوذهم في بوند شيري وشاندرناكور وكاريكال وما هي من جهة[45]. وحاجة ايل دي فرانس* الشديدة للمؤن ولاسيما بعد ان ضرب الانكليز الحصار الاقتصادي عليها ورفض العمانيون تزويدها بما تحتاجه من المؤن نتيجة لاعمال القرصنة من جهة اخرى[46]. اجبر الحكومة الفرنسية على الاهتمام بموضوع مسقط. فقد طلبت لجنة الشؤون الخارجية من مبعوثها في اسطنبول وقنصلها في بغداد ضرورة الاتصال بامام مسقط واطلاعه برغبة حكومة الجمهورية بالمحافظة على العلاقات الطيبة معه والتأكيد له ان الحكومة مهتمة بموضوع شكواه فيما يتعلق بالسفينة «الفتح» والذي سيرتب بموجب عدالة وامانة الجمهورية كما طلبت منها بذل كل الجهود من اجل طمأنة الامام واعادة ثقته بفرنسا واقناعه بضرورة تموين الجزر الفرنسية[47]. يضاف الى ذلك فقد اقترحت لجنة الشؤون الخارجية على لجنة السلام العام انشاء قنصلية في مسقط وجاء في تقريرها ان «اقامة قنصلية فرنسية في مسقط سوف يخدم المصالح الفرنسية كثيرا لاسيما ان الامام الذي سبق وان كرر مطالباته بذلك سيرحب بالوكيل الفرنسي الذي سوف يلعب دورا مهما من الناحية السياسية وذلك بدراسة ومراقبة ما يجرى في الهند[48]. كما اكدت اللجنة في تقريرها بان مسقط ميناء مهم جدا من الناحية التجارية والتي يمكن ان تشجع على اقامة المؤسسات على سواحل الخليج العربي[49].

(*) وهي جزيرة تقع في المحيط الهندي الى الشرق من مدغشقر تبعد ٥٥٠ ميلا عنها و ٢٢٠٠ ميل عن راس الرجاء الصالح. وكان البرتغاليون اول من اكتشفها من الاوربيين وذلك سنة ١٥١٠ ثم احتلها الهولنديون ١٥٩٨ واطلقوا عليها اسم جزيرة موريس وبقيت تحت سيطرتهم حتى سنة ١٦٣٨. وفي سنة ١٧١٥ احتلها الفرنسيون واطلقوا عليها اسم ايل دي فرانس (ile de France) وبقيت تحت نفوذهم حتى سقوطها بيد الانكليز سنة ١٨١٠.

(44) Ibid, No. 67, Lettre de la Commission de la marine et des colonies au citoyen Commissaire des relations exterieures, 24 germinal (25 septembre 1794).

(45) J. G. Lorimer, op. Cit., p. 149.

(46) A. A. E. Corr. Cons. Mascate, Vol. 1, No. 1, No. 49, Quirard a Rousseau 25 Septembre 1794.

(47) Ibid, No. 66, Rapport du Comite de Salut Public 18 germinal L,AN 111 (7 avril 1795).

(48) Ibid, No. 53 - 54, Rapport de la Commission des relations exterieures, 2 Ventose L'An 111 (1 mars 1795).

(49) Ibid.

وفي ٣ اذار ١٧٩٥ وافقت لجنة السلام العام على تأسيس قنصلية مسقط[50] ووقع الاختيار على بوشان الفلكي الفرنسي لاشغال هذا المركز لانه المرشح الاكثر خبرة في امور الشرق[51]. وفي ٧ نيسان اصدرت لجنة الامن العام تقريرا اكدت فيه بان تأسيس قنصلية في مسقط سوف يخدم فرنسا كثيرا وذلك بتحقيق الاتصالات السريعة مع جزيرتي ايل دي فرانس وغينو اللتان لا يمكن الاتصال بهما في الوقت الحاضر الا عن طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الاطلسي هذه الطريق الطويلة وغير المضمونة لاسيما في اوقات الحرب والتي لا يمكن مقارنتها بطريق مسقط[52]. كما اكدت اللجنة في تقرير آخر لها بان «مسقط تعتبر مهمة لفرنسا لاسيما بعد ان احتل الانكليز جميع البحار والبقاع الهندية بحيث تستطيع اتخاذها مركزا لتموين مستعمراتها في الهند وجزيرتي ايل دي فرانس وغينو»[53].

وقد اهتمت اللجنة بتنسيق مهمة بوشان وسمحت له بان يصطحب معه شارل رسفير (Charles Receveur) وارستيدميلي (Aristide Mailly) كمساعدين[54].

كما قررت اللجنة ارسال هدايا ثمينة الى الامام وكبار المسؤولين في البلاط العماني وكانت تتألف من قلادتين ذهبية واربع ساعات فضية وبندقية ومسدسين وساعة دقاقة[55]. واخيرا حررت التعليمات لبوشان والتي كانت تنم عن رغبة فرنسا في القيام بنشاط واسع المدى في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي. ومما جاء في هذه التعليمات: دراسة الاوضاع السياسية في الهند ومراقبة نشاطات وتحركات الانكليز فيها وفي منطقة الخليج العربي وان يظل بوشان على اتصال منتظم مع

---

(50) Ibid, no. 56, Arrete du comite de Salut public, 13 Ventose L'An 111 (3mars 1795).

(٥١) كان بوشان في الثالثة والاربعين من عمره حينما اختير قنصلا لفرنسا في مسقط وكان على معرفة كبيرة في امور الشرق فقد سبق وان شغل مركز الممثل العام لاسقفيه بابل في عام ١٧٨١ وق زار حلب وفارس من اجل القيام بدراسات في علم الفلك والجغرافية واثار القدماء. ورجع الى فرنسا عام ١٧٩٠ بعد ان امضى عشر سنوات في الشرق. ومن مؤلفاته:

١ ـ رحلة من بغداد الى البصرة.

٢ ـ رحلة الى فارس عام ١٧٨٧.

٣ ـ مذكرات عن البابليين القدماء.

٤ ـ ملاحظات عن اداب العرب.

P. Larouse, Grand dictionnaire universel duxixe siecle, Paris, 1887, Tome 11, p. 431.

(52) A. A. E. Corr. Cons. Mascate, Vol. 1 No. 66, Rapport du comite de Salut Public, 18 germinal l'An 111. (7 avril 1795).

(53) Ibid, No. 68, Rapport au Comite de Salut public, 26 germinal l'An 111 (15 avril 1795).

(54) Ibid, No. 72 - 73, Arrete du Comite de Salut public 13 floreal l'An 111 (2mai 1795).

(55) Ibid, No. 78, Commission des revenus natiobaux a la Commission des relations exterieures, 29 florcal l'An 111 (28 mai 1795).

الحكومة الفرنسية لنقل الاخبار بين الهند وفرنسا وان يحاول اقناع الامام بضرورة تموين الجزر الفرنسية بواسطة تجار مسقط او تجار بقية دول الخليج[56]. وان يعمل على التأثير في الامام من اجل تخفيض الضرائب الكمركية على الصادرات والواردات الفرنسية مع مسقط[57]. كما كلف بوشان بدراسة السواحل الجنوبية لفارس ومحاولة اقامة مؤسسات تجارية فيها، وتوجيه انظار التجار الفرنسيين نحو تجارة الخليج[58]. وكذلك دراسة الطرق التي تستطيع بها فرنسا من تحسين تجارتها مع مدغشقر والهند[59] واخيرا دراسة مسقط من جميع جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية واطلاع لجنة العلاقات الخارجية على حقيقة حمولة السفينة «الفتح» الذي سبق وان استولى عليها القراصنة الفرنسيون[60] وكان على بوشان ان يطوف اولا بالبحر الاسود وبحر قزوين وبلاد الشام ومصر قبل ذهابه الى مسقط حسب تعليمات لجنة السلام العام وذلك لدراسة الطرق المؤدية الى الهند[61]. وكان عليه ايضا ان يتصل بفرنيتاك، المبعوث الفرنسي في اسطنبول، وروسو، القنصل الفرنسي في بغداد، من اجل تزويده بالمعلومات الضرورية عن مسقط[62]. كما تسلم بوشان رسالة من لجنة الامن العام الى امام مسقط سلطان بن احمد (١٧٩٣ ـ ١٨٠٤)، تذكره بالصداقة والعلاقات الطيبة بين البلدين: «ان صداقتكم ومصلحتكم مع الامة الفرنسية قد شجعتنا بتعيين بوشان قنصلا للجمهورية الفرنسية لدى بلاط سموكم والذي سيكون مسؤولا عن مصالح فرنسا التجارية والملاحية في دولتكم. وسيكون بامكانكم ان تعتبروا اي شيء يقوله لكم بأمرنا صحيحا ولا يتطرق اليه الشك، لاسيما عندما يؤكد لكم رغبتنا وحرصنا في تقوية الصداقة وحسن التفاهم اللذين ظلا من وقت طويل على ما يرام»[63].

---

(56) Ibid, No. 58 et 85. Memoire pour Servir dinstructions au citoyen Beauchamp, 4 prairial l'An 111 (24 mai 1795).

(57) Ibid, No. 106. Beauchamp au Commissaire des relations exterieures. 8 fructidor l'An 111 (25 aout 1795).

(58) Ibid, No. 66, Rapport du Comite Salut public, 18 germinal l'An 111 (7avril 1797).

(59) Ibid, No. 57 - 60, Note Sur Mascate, 18 veutose l'An 111 (8mars 1795).

(60) Ibid, No. 58 et 85, Memoire pour Servir d'instrucions au citoyen Beauchamp, 4prairial l'An111 (24 mai 1795).

(61) Ibid, No. 71, Memoire du comite de Salut public, 7floreal l'An 111 (26 avril 1795).

(62) Ibid, no. 58 et 85

(63) Ibid, No. 86, Comite de Selut public a 1,Iman d,Oman, 6Prairial l'An 111 (26 mai 1795).

كما ارسل المجلس التنفيذي رسالة اخرى الى الامام جاء فيها: «صاحب الفخامة سيدي ان الرغبة في اقامة علاقات صداقة طيبة معكم والتي ستكون نتائجها مثمرة لتجارة رعاياكم والى التجار الفرنسيين الذين يتعاملون ويترددون على الجزيرة العربية القريبة من حدودكم دفعنا الى تعيين بوشان قنصلا فرنسيا في مسقط. وذلك بسبب مواصفاته واخلاصه ومعرفته لاوضاع الجزيرة العربية وقد اكدنا لبوشان بضرورة توثيق عرى الصداقة بيننا وان يقدم لكم اوراق اعتماده كقنصل فرنسي في بلادكم»[64].

غادر بوشان فرنسا على الارجح في بداية عام ١٧٩٦ ولكنه لم يستطع الوصول الى اسطنبول الا في تشرين الاول من العام نفسه[65]. وبعد اقامة استمرت اكثر من سنة غادرها مع مرافقيه الى حلب حيث وصلها في بداية كانون الثاني ١٧٩٨[66]. ويبدو ان بوشان لم يكن واثقا من نجاح مهمته في مسقط. وقد كتب الى وزير الخارجية الفرنسي يقول: بانه لم يسلم هدايا الامام التي قررتها لجنة الامن العام[67]. ولذلك فهو متشائم جدا من مهمته في مسقط والتفاوض مع الامام لاسيما ان الهدايا كانت من الوسائل المتعارف عليها لدى الامراء الاسيويين وبذلك سوف يكون مصيره كمصير بروكيير واوليفيه اللذين وصلا اصفهان دون استلام الهدايا كما عبر في تقريره عن مخاوفه بانه سوف لن يستطيع الذهاب بعيدا عن حلب دون ان يتحقق السلام وذلك لان الانكليز ينتظرونه في البصرة من اجل منعه من الوصول الى مسقط[68]. كما اكد هذا الموقف في تقرير اخر جاء فيه: ان السلطات البريطانية في الهند قد عرفت بامر مهمته وان سفنهم الحربية تجوب الخليج العربي من اجل القاء القبض عليه[69]. لذلك ما ان وقع غزو فرنسا لمصر حتى وجد بوشان مبررا قويا بعدم امكانية تحقيق مهمته. وبعد وصوله القاهرة في ١٥ اكتوبر ١٧٩٨ بناء على طلب بونابرت اكد بوشان الى تاليران (Talleyrand) وزير الخارجية الفرنسي «انه من

---

(64) Ibid, P. 231, le directoire executif a l Iman de Mascate.

(65) Ibid, No. 114, Beauchamp au ministre des relations exterieure 29 vendemiaire l'An v (20 octobre 1796); A. A. E. Mem. et Doc. Perse, Vol. 1, pp. 153 - 176, relations Historiques et geographiques d'un voyage de conctautinopie a Trebizonde par mer, l'An v de la Republique.

(66) Ibid, No. 58, Beauchamp au ministre des relations exterieures, 17 Juin 1798.

(٦٧) كان من المقرر ان يتسلم بوشان الهدايا من السفير الفرنسي في اسطنبول.

Ibid, No. 148, Beauchamp an ministre des relations exterieures.

(68) Ibid.

(69) Ibid, 24 messidor l'An v11 (12 Juillet 1798).

الصعب جدا ارسال قنصل فرنسي الى مسقط في الظروف الحاضرة، لاسيما ان الانكليز يعرفون مخططاتنا الحالية وسوف لن يسمحوا لاي فرنسي بالمرور الى الهند»[70]. واوضح بان حملة مصر قد اوجدت القطيعة بين فرنسا والدولة العثمانية وخلقت شعورا قويا معاديا لفرنسا في جميع الاقطار الاسلامية[71].

وهكذا لم يستطع بوشان من الوصول الى مقر منصبه الذي اختير له. وقد كلفه بونابرت بمهمة في اسطنبول حيث القى القبض عليه وتم اعتقاله من قبل العثمانيين[72]. والواقع انه لم يتم وصول قنصل فرنسي الى مسقط حتى عام ١٨٩٤ حينما جاء اوتافي (Ottavi) لتسلم مهام القنصلية[73] لقد تتبعت بريطانيا باهتمام نشاط هذه البعثات. فقد كان المقيم البريطاني في البصرة قد تلقى معلومات مبكرة من القنصل البريطاني في حلب عن وجود اوليفيه وبروكيير فيها في اوائل عام ١٧٩٦ وكتب بدوره الى حكومة بومباي قائلا بان «نية هؤلاء السادة على ما يبدو ان يتوغلوا بالصفة التي يدعونها كعلماء للنبات والطبيعة في رحلة من بغداد الى فارس ومنها يتسللان الى الهند»[74]. وبناء على ذلك كتب جونثان دنكان (Jonathan Duncan) حاكم بومباي الى هانكي سمث (Hankey Smith) المقيم البريطاني في بوشهر يأمره بالتعاون مع مندوبي الشركة في البصرة لتتبع تحركات بوكيير واوليفيه وان يقبض عليهما اذا امكنه ذلك ويرسلهما الى بومباي مع كافة اوراقهما[75]. كما طلبت السلطات البريطانية من سليمان باشا حاكم بغداد، تسليم المبعوثين الفرنسيين عندما عرف هدفهما الحقيقي[76]. وفي عام ١٧٩٦ كانت هناك شكوك بان مسقط ممكن ان تتخلى عن حيادها في الحرب الدائرة بين الفرنسيين والانكليز. وقد كشفت التقارير الواردة الى حكومة بومباي عن قيام سفن مسقط التجارية بنقل المعلومات عن تحركات السفن البريطانية الى ايل دي فرانس وبان الفرنسيين كانوا يترددون باستمرار على مسقط وهم في طريقهم الى فارس والشرق، كما ان تجار مسقط كانوا

---

(70) Ibid, No. 61,24 vendemiaire l'An v11 (15 octobre 1798).

(71) Ibid.

(72) H. Prentout, l'ile de France sous Decaen, 1803 - 1810, Essai sur la politique Coloniale du premier Empire et de la rivalite dela France et de l'Angleterre dans les Indes Occidentales, Paris, 1901, P. 332.

(73) M. Brunet, Les Boutriers de la Mer des Indes, Affaires de zanzibar et de Mascate, Paris, 1910, pp. 212 - 213

(74) A. Wilson, op. Cit., pp. 189 - 190

(75) J. G. Lorimer, op. Cit., P. 154.

(76) J. B. Kelly, Britain and the persian Gulf, 1795 - 1880, oxford, 1968, p. 64

يؤدون خدمات كبيرة للفرنسيين وذلك بنقل السلع البريطانية في السفن المسيطر عليها من قبل الفرنسيين وبان تأثير الحصار الذي فرضه الانكليز على ايل دي فرانس كان قد ادى الى زيادة التجارة بين مسقط والجزيرة[77]. ولذلك فقد اوفد حاكم بومباي في تموز ١٧٩٦ الملازم سكنر (Skinner) الى مسقط ومعه سفينة حربية ومزود بتعليمات للتأكد من وجود بعض الفرنسيين فيها[78]. ولكي يطلب من سلطان بن احمد ان يلتزم جانب الحياد في الصراع الدائر بينهم وبين الفرنسيين[79]. وان يحاول اقناعه بتسليم الافراد الثلاثة المقصودين اساسا بالقبض عليهم وهم ديكورش، المبعوث الفرنسي فوق العادة لدى الباب العالي سابقا، وهمفريز (Hamfriz) وهو بريطاني متمرد زامل الاول في السفر، وبوشان القنصل الفرنسي المعين في مسقط، وكان الانكليز يعتقدون وصول هؤلاء الثلاثة الى مسقط من ايل دي فرانس وكان الملازم سكنر مفوضا بان يعرض على حاكم مسقط مبلغا يتراوح بين الف وثلاثة الاف روبية في مقابل تسليمه كل فرنسي ومعه اوراقه وان يرفع هذا المبلغ حتى ثمانية الاف روبية بالنسبة للاشخاص الثلاثة[80] غير ان المبعوث الانكليزي لم يجد فرنسيين في مسقط وقد اكد له السيد سلطان ان التقرير الذي وصل الرئاسة عن وجود ثلاثة من الفرنسيين في مسقط يمدون حكومتهم بمعلومات ضارة بشركة الهند الشرقية تقرير لا اساس له من الصحة[81]. كما كتب السيد سلطان خطابا وديا الى حاكم بومباي جاء فيه «انه منذ الازمان السابقة، قد ربطت سلاسل الصداقة والود بين بلدينا فبحمد من الله طالما كان هناك نفس يتردد في الجسد فان بستان المحبة والاخلاص سيظل يانعا بماء العاطفة والولاء ولهذا السبب فان اصدقاء الشركة الموقرة هم اصدقائي واعداءها اعدائي[82]».

وفي عام ١٧٩٧ حاولت الشركة الحصول على أمر من سلطان عمان يمنع السفن الفرنسية والهولندية (كانت هولندا متحالفة مع فرنسا ضد بريطانيا) من زيارة مسقط وهي ترفع فوقها اعلاما عربية وكان الفرنسيون والهولنديون قد لجأوا الى

---

(77) Ibid, pp. 65 - 66.
(78) J. G. Lorimer, op. Cit., p. 425.
(79) J. B. Kelly, op. Cit., p. 66
(80) J. G. Lorimer, op. Cit., p. 246
(81) Ibid.

(٨٢) العابد، صالح، نفس المصدر، ص ٧٤.

هذه الطريقة لاجل خدعة السفن الحربية الانكليزية في عرض البحر[83]. ولكن مع ذلك فقد ظلت العلاقات المنتظمة مستمرة بين مسقط وايل دي فرانس. فقد ذكر الكابتن سبنسر (Spencer) قائد السفينة بيرل (Pearl) في تقريره لحكومة الهند ان رجلا فرنسيا كان له في مسقط سفينتان تقومان برحلات منتظمة من هذا الميناء الى الجزيرة[84]. كما اكد سمث (Smith)وكيل شركة الهند في بوشهر «ان مسقط ستصبح عما قريب وكرا للجاسوسية الفرنسية على الهند لان خمس او ست سفن عربية تقوم بنقل التجارة بين موريشيوس ومسقط وساحل ملبار ولاشك ان نقل الانباء سيكون مورد ربح للبحارة العرب»[85]. يضاف الى ذلك فقد اعتبر الانكليز علاقة سلطان عمان بتيبو صاحب جزء من علاقته بالفرنسيين[86]. فقد كان حاكم ميسور هذا عدوا خطيرا للحكم البريطاني في الهند لاتصاله المستمر بالفرنسيين في ايل دي فرانس واستخدامه لعدد كبير من الضباط الفرنسيين في جيشه[87].

ونتيجة لهذا وبسبب نشاط البحارة العرب ضد الملاحة البريطانية وقيامهم باعتداء على سفينة تجارية انكليزية عند رسوها في ميناء بوشهر عام ١٧٩٧ فقد اقترح مانستي (Manesty) وكيل الشركة في البصرة على ادارتها في اتباع سياسة التدخل في الشؤون الداخلية للخليج وكان من ضمنها اقامة اتفاق عسكري مع مسقط ضد القرصنة في الخليج. ولكن السياسة المتبعة في الهند انذاك كانت تهدف الى عدم التدخل او التوسع الحربي حتى لا يكلف ذلك الشركة نفقات باهظة بسبب ذلك التدخل او التوسع الحربي[87].

ولذلك فان حكومة بومباي لم تتخذ الاجراءات العملية للحد من النفوذ الفرنسي في مسقط وبقية دول الخليج الاخرى، الا بعد معرفتها باحتلال بونابرت لمصر.

---

(83) J. G. Lorimer, op. Cit., p. 426

(84) Ibid, p. 433

(٨٥) العقاد، صلاح، المصدر نفسه، ص ٦٥

(86) J. G. Lorimer, op. Cit., p. 433

(87) H. L. Hoskins, British routes to india, London, 1966, p. 54

(٨٨) العقاد، صلاح، المصدر نفسه، ص ٦٥ ـ ٦٦.

قائمة باختزالات المراجع الواردة في الهوامش

A. A. E. Archives des Affaires Etrangeres

ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية في باريس

A. C. Archives des Colonies

ارشيف وزارة المستعمرات المحفوظ في الارشيف الوطني (باريس)

Corr. Pol. Perse=Correspondance politique (Perse)

المراسلات السياسية الخاصة بفارس

Corr. pol. Turquie=Correspondance politique (Turquie)

المراسلات السياسية الخاصة بتركيا

Corr. Cons. Masscate Correspondnce Consulaire (Mascate)

المراسلات القنصلية الخاصة بمسقط

Corr. Comm. Bagdad Correspondance Commerciale (Bagdad)

المراسلات التجارية الخاصة ببغداد

Mem. et Doc. Perse Memoires et Documents (Perse)

المذكرات والوثائق الخاصة بفارس